عيون من زجاج

عبد العزيز الشناوى

رســـوم
عبد الرحمن بكر

مكتبة جزيرة الورد
تقاطع شارع الهادى وعبد السلام عارف
ت/ ٣٥٧٨٨٢

مكتبة جزيرة الورد
المنصورة ـ تقاطع شارع عبد السلام عارف وشارع الهادى
ت: ٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢

سعيد عبد الجواد تلميذ بمدرسة النصر الإعدادية...

سعيد تلميذ مجتهد ويلعب كرة القدم مع فريق مدرسته، وهو رأس حربة الفريق وهدافه..

سعيد عبد الجواد متمرد ومعترض على كل شئ في حياته حتى اختيار اسمه، لماذا سماه أبوه سعيداً؟

في الحقيقة إنه حزين، لماذا تعيش أسرته في هذا الفقر اللعين؟

لماذا لم يولد بين أسرة ثرية؟

كلما خرج سعيد من مسكنه خرج دامع العينين، كسير القلب، كل زملائه يأخذون مصروفاً يومياً إلا حزين عبد الجواد؟

كل التلاميذ ترتدى ملابس جديدة إلا هو يلبس بنطلوناً قديماً وحذاء تكسوه الرقع؟ إذا طلب من أبيه حذاء هب في وجهه كالزوبعة:

- هل أشترى لك حذاء من حديد لتلعب به الكرة؟

يقول من خلال دموعه:

حذاء يتيم منذ ثلاث سنين ؟

وتقول:

- إنه تمزق من لعب الكرة؟

كثير من زملاء سعيد عبد الجواد يركبون سيارات فارهة، سعيد يمشى على قدميه، أمنيته أن تكون له دراجة يركبها وهو ذاهب إلى المدرسة، وأن تمتد يد أبيه وتدس في يده عشرة قروش مصروف يومى.

تامر حسن زميل سعيد عبد الجواد، تامر يعيش مع أبيه في فيلا ويركب سيارة أحدث موديل، تامر يبعثر النقود يمينا وشمالا، إذا ذكر سعيد عبد الجواد ذلك لأبيه قال له:

ـ إحمد الله على نعمه التى لا تحصى.

يلوح سعيد بيده في غضب وضيق:

ـ أين هذه النعم ؟

يقول الأب:

ـ اخلع نظارة التمرد وعدم الرضا وأنت ترى هذه النعم.

غادر سعيد عبد الجواد باب مسكنه وهو يكفف دموعه بظهر يده حتى لا يراها أحد من زملائه، أفاق سعيد عبد الجواد من شروده على صوت آلة تنبيه سيارة، نظر بجانبه فرأى تامر حسن يطل من نافذة السيارة ويلوح بيده محيياً، لوى سعيد عبد الجواد ظهره وأشار بيده..



ثـم نظـر سـعيد إلى تامـر حسن وهو يجلس في جوف سيارتـه الفارهة فخيل إلـيه أنه عملاق يتطاول حتى مس رأسه السحاب، بينما ظن سعيد عبد الجواد أنه صار قزماً يقترب من الأرض.

شيع سعيد عبد الجواد سيارة تامر حسن بعينين شاردتين حتى اختفت عن بصره، وجد سعيد عبد الجواد أمامه زلطة فركلها بحذائه في عنف.

لم يعـد سـعيد عـبد الجـواد يفكـر في المصـروف اليـومى عـندما وجـد بعض التلاميذ يلعبون الكرة في فناء المدرسة، وضع سعيد عبد الجواد حقيبته بجوار الحائط وراح يلعب مع زملائه.

بالأمس قال سعيد عبد الجواد لأبيه:

ـ أريد حقيبة جديدة وبنطلوناً.

قال الأب:

ـ أليس لديك حقيبة العام الماضى؟

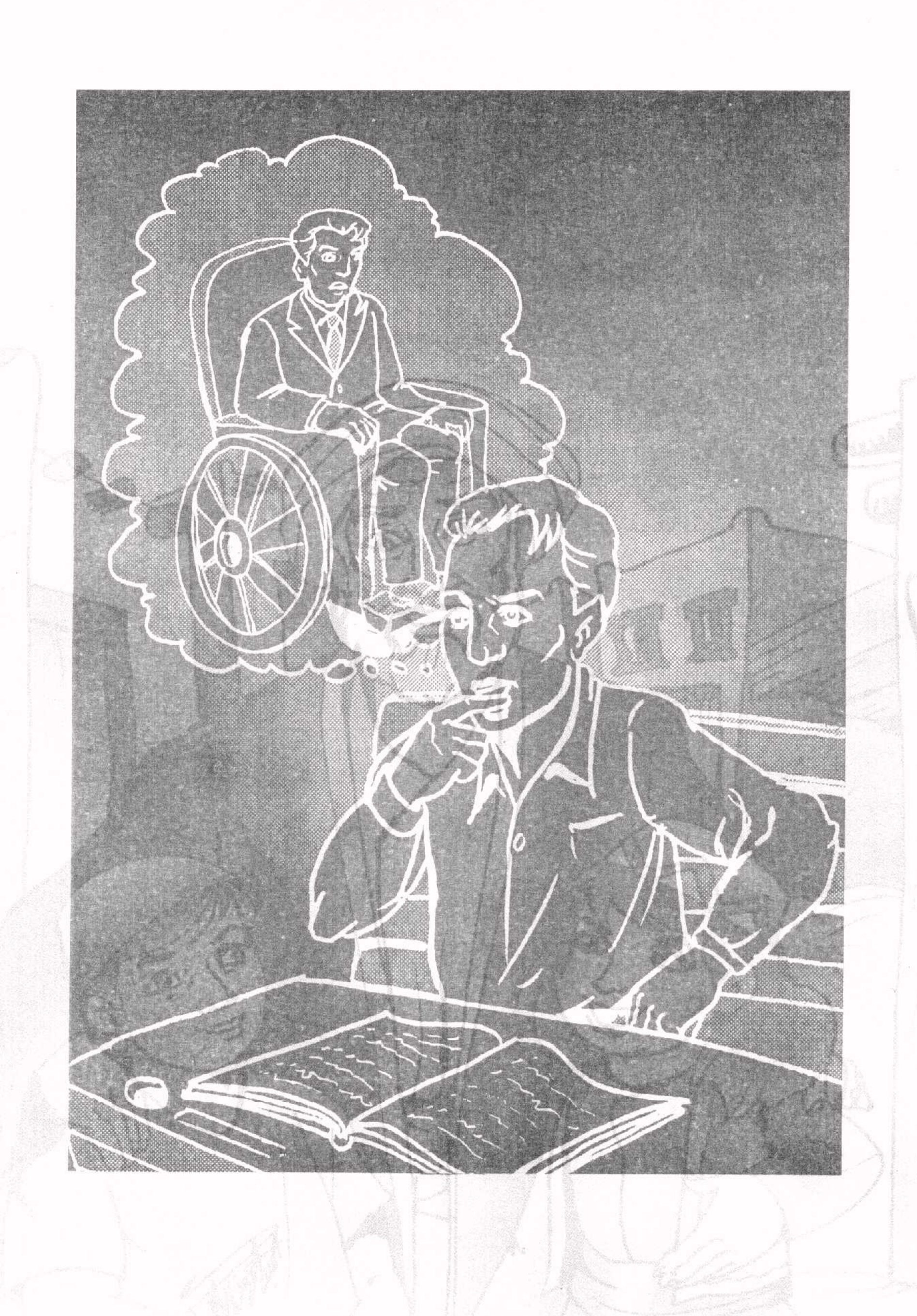
قال سعيد عبد الجواد:

ـ لقد أصبحت قديمة ممزقة.

قال الأب:

ـ من الذى مزقها؟ ثم أننى اشتريت لك بنطلونا أسود منذ أربعة أشهر.

قال سعيد عبد الجواد:



- بنطلون يتيم يغسل ويلبس و... ؟

قال الأب:

- يا بنى احمد الله إن كثيراً من زملائك يضعون كتبهم في كيس من القماش أو في كيس من البلاستيك، يا بنى احمد الله ولا تنظر إلى من هو أعلا منك بل انظر إلى من هو أقل منك ترى نعم الله عز وجل.

قال سعيد عبد الجواد:

- أين هذه النعم؟

قال الأب:

- يا بنى إنها كثيرة ولكنك لا تراها.

قال سعيد عبد الجواد في ضيق:

- بصراحة إنى لا أرى إلا الفقر ولم أسمع إلا "العين بصيرة واليد قصيرة"، ولا أدرى متى تصبح العين بصيرة واليد طويلة ؟

دق الجرس فحمل حقيبته ووقف مع زملائه في صفوف في فناء المدرسة.

صحب كل مدرس تلاميذه إلى الفصل، ظل المدرس خارج الفصل حتى أخذ التلاميذ أماكنهم.. ثم دخل المدرس الفصل وقال:

- السلام عليكم.

قال التلاميذ:

ـ وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.

أشار المدرس بيده فجلس التلاميذ.

تقدم المدرس نحو السبورة وكتب التاريخ في الجانب الأيمن من السبورة وكتب كلمة علوم في منتصف السبورة، ثم استدار نحو تلاميذه وقال:

ـ اليوم سنتحدث عن تركيب الأذن.. نعمة من نعم الله عز وجل "وَإِن تَعُدّواْ نِعْمَةَ اللّه لاَ تُحْصُوهَا" سورة إبراهيم الآية: ٣٤.

الله تبارك وتعالى هو الخالق وهو المسئول عن السمع والبصر والفؤاد "إِنّ السّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلّ أُولـَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً"

سورة الإسراء الآية: ٣٦.

"وَجَعَلَ لَكُمُ السّمْعَ وَالأبْصَارَ وَالأفْئِدَةَ قَلِيلاً مّا تَشْكُرُونَ"

سورة الملك الآية: ٢٣

ثم استدار المدرس نحو السبورة وراح يرسم الأذن فقسمها إلى ثلاثة أقسام.. وقال:

ـ الأذن الخارجية: وتتكون من صوان الأذن ووظيفته تجميع الأصوات و..

أما الأذن الوسطى فيكون جدارها الخارجي الطبلة وتحتوى على ثلاث عظام هى: المطرقة، والسندان والركاب

والأذن الداخلية وأهم أجزائها القوقعة.

تحسس سعيد عبد الجواد صوان أذنه اليمنى، منذ أسبوع قال له تامر حسن:

- اتفق والدى مع أحد الأطباء على أن يزرع لى قوقعة وسوف يدفع له مائة ألف جنيه.

قال سعيد عبد الجواد في عجب:

- قوقعة في حجم حبة القمح بمائة ألف جنيه؟

تامر حسن شبه أطرش يضع في أذنيه جهازاً لكي يساعده على السمع. تامر حسن لا يستطيع السير على قدميه أصيب بشلل الأطفال. تامر حسن يركب كرسياً ذا عجلتين.

زحفت عينا سعيد عبد الجواد نحو تامر حسن، ارتطمتا بالكرسي ذى العجلتين، عندما تكون هناك مباراة في كرة القدم بين مدرسة النصر الإعدادية ومدرسة أخرى يجلس تامر حسن ليشاهد المباراة ويشجع فريق مدرسته بحرارة وحماس.

قال تامر حسن لسعيد عبد الجواد ذات يوم:

- أبى على استعداد أن يدفع خمسين ألف جنيه على أن أستطيع أن أقف على قدمى وأركل الكرة بقدمى.

قال سعيد عبد الجواد في عجب:



- يا سلام.. أبوك على استعداد أن يدفع خمسين ألف جنيه من أجل أن تقف على قدميك وتركل الكرة ركلة واحدة؟ كم يدفع إذا لعبت شوطاً أو شوطين في إحدى المباريات؟

عض تامر حسن سبابته وقال في صوت ينز حزناً وألماً:

- الصحة نعمة لا يراها إلا المرضى.

أرتفع صوت مدرس العلوم:

- تطور الطب البشرى الحديث في السنوات الأخيرة فأصبح من الممكن زرع قوقعة لإنسان أطرش فيمكنه أن يسمع.

تساءل أحد التلاميذ:

- هل هذه القوقعة من أذن إنسان سليم آخر أم من البلاستيك؟

قال المدرس:

- إنها من معدن غير قابل للصدأ.

قال تلميذ آخر:

- كم تتكلف عملية زرع قوقعة لإنسان أطرش لكى يسمع؟

قال المدرس:

- كانت عملية زرع قوقعة في أذن إنسان لا يسمع منذ سنين تتكلف نحو ربع مليون جنيه.

قال تلميذ في عبارة ممطوطة:

- ربع مليون جنيه؟ يعنى مائتين وخمسين ألفا؟

لم يلتفت المدرس لعجب التلميذ وأردف:

- أما الآن بعد تطور الطب فعملية زرع قوقعة في أذن إنسان لا يسمع تتكلف نحو مائة ألف جنيه.

همهم التلميذ الذى تعجب منذ قليل وقال:

- إذا كان زرع قوقعة في مثل حبة الشعير يتكلف مائة ألف جنيه فكم يتكلف زرع قلب أو كُلى؟

قال المدرس:

- لقد بدأت الدرس بشكر الله عز وجل على نعمه التى لا تحصى، والحمد لله الذى عافانا مما ابتلى به بعض الناس، والحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده.

ثم سكت المدرس لحظة وقال:

- قال طبيب القلوب والعقول والنفوس صلى الله عليه وسلم: "من أصبح معافى في بدنه آمناً في سربه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها" (رواه الطبرانى في الكبير عن أبى الدرداء).

قال أحد التلاميذ:

ـ ما معنى في سربه ؟

قال المدرس:

ـ في نفسه وأهله وقومه.

طرق أحد التلاميذ باب الفصل، فسأله مدرس العلوم:

ـ ماذا تريد؟

قال التلميذ:

ـ أريد سعيد عبد الجواد.

قال المدرس:

ـ لماذا..؟!

قال التلميذ وهو يقدم إلى المدرس ورقة:

ـ هذا تصريح بالخروج لأن سعيد عبد الجواد كابتن فريق المدرسة لكرة القدم وبعد قليل ستبدأ مباراة بيننا وبين مدرسة النيل الإعدادية في كرة القدم.

قرأ المدرس التصريح، والتفت نحو تلاميذ الفصل وتساءل:

ـ أين سعيد عبد الجواد؟

نهض سعيد عبد الجواد وهو يتمنى أن تراه تلاميذ المدرسة والمدارس المجاورة وقال وهو يتطاول بعنقه في زهو:

ـ ها أنذا يا أستاذ.

تبسم مدرس العلوم وأشار بيده

فتقدم سعيد عبد الجواد، ولما اقترب من كرسى تامر حسن ذى العجلتين توقف وربت على كتفه في حنان وإشفاق وعادت كلمات المدرس تدوى بين جدران رأسه:

ـ الحمد لله على نعمه التى لا تحصى، والحمد لله الذى عافانا مما ابتلى به بعض الناس و..

تبسم مدرس العلوم وكأنه يحيى سعيد عبد الجواد الذى تقدم في خيلاء..

في الصباح سمع سعيد عبد الجواد المقرىء في إذاعة القرآن الكريم يكرر قوله تعالى "قُل أرأيتم إن أَخَذَ اللّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىَ قُلُوبِكُمْ مّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ اللّه يَأْتِيكُمْ بِهِ" سورة الأنعام الآية: ٤٦

تسمرت قدماه بالأرض، لماذا تذكر هذه الآية الآن بالذات؟ فهم ووعى معناها؟

وجد سعيد عبد الجواد نفسه يقول في صوت هامس يفيض بالصدق والإخلاص والشكر:

ـ يا رب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

امتدت يد سعيد عبد الجواد نحو كتف تامر حسن وربت عليه في حنان وإشفاق، عادت كلمات المدرس تدوى بين جدران رأس سعيد عبد الجواد:

ـ الحمد لله على نعمه التى لا تحصى، والحمد لله الذى عافانا مما ابتلى به بعض الناس و..

جر سعيد قدميه وبصره عن الكرسى ذى العجلتين، وخيل إليه أن شيئاً كالغشاوة القاتمة كشطت عن عينيه، ماذا حدث؟ أين الكآبة و..؟ حلت محلها سعادة و..؟

خرج سعيد عبد الجواد من باب الفصل، سار فى فناء المدرسة، خيل إليه أنه صار عملاقاً يتطاول حتى مس رأسه السحاب؟

هتف مدرس التربية الرياضية:

ـ أسرع يا سعيد.

هرول سعيد عبد الجواد ولأول مرة في حياته أحس أنه خلع رداء التمرد على الحياة، ونسى الحقيبة الجديدة والبنطلون والمصروف اليومى والدراجة و..، وشعر أنه سعيد.. سعيد حقاً.